وحـي المولـد(*)

من مقلتيكَ يغيضُ اللؤلؤُ الرَّطبُ ... يا قائم الليلِ، ما للدمعِ ينسكبُ؟
تقضي الليالي حزيناً بائساً قلقاً ... وقلبُك الغضُّ في جنبيكَ يضطرب
سُهـدٌ ودمـع وأفكـار مُبعثـرةٌ ... وأنجمٌ نحـوَهـا تـرنـو وتـرْتَقِبُ
إنْ كنتَ تشكو أسىً أو تبكِينَّ هوى ... فكلُّنـا مُغـرمٌ والشـوقُ مُلتَهِبُ
وكمْ أخا النجم في الأنحاءِ أفئدةٍ ... إذا أتى ذكـرُ طه هـزَّها الـطَّرب
تبيتُ وَلْهـى ولا تنـفـكُّ قـائلةً ... في حبِّ أحمدكمْ يُستعذبُ النصب(١)

* . * . * . * . *

نفِّسْ عن القلب أشجـاناً تمـزِّقه ... وانشُرمعي ماطوت من قبلنا الحقب(٢)
واذكر حديثَ الأُلى كانت شريعتهم ... سفكَ الدماء فكم سالت بها قُضب(٣)
عاثوا فسـاداً وباتَ الكـلُّ قاطبـةً ... وبعضُهم لحقوقِ البعضِ مُغتصب
جهلٌ ولا شيءَ غيرَ الجهلِ رائدُهم ... ظلمٌ ولا شيء غيرَ الظلمِ مُنتصبُ
خمـرٌ وفسق وأصنـام مُـؤلَّهـةٌ ... ووأدُ نفسٍ ومـالٌ بـاتَ يُنتهبُ
كـانوا حيـارى بليـل مـدَّ ظُلمتَـه ... فاشرقَتْ شمسُ طه واهتدى العرب

(*) ألقيت في الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف بإنشاص في ٢١ ديسمبر ـ كانون أول ١٩٥٠.

(١) النصب : التعب.

(٢) الحقب : السنون. أما حقب بضمتين فهو الدهر.

(٣) القضـب : السيوف.

في ذلكَ الحينِ والفتيانُ سادرةٌ ... في الغيِّ لم يثنِهم لومٌ ولا عتبُ[1]

كان الأمينُ بحبلِ الهدي مُعتصماً ... لا يَعرف الرجس بَل واللهو يَجتنب[2]

وسلْ خديجةَ لما راحَ يخطُبُها ... قومٌ بمكةَ فيها كلُّهم رغبوا

لكنَّها أعرضتْ عنهم وما رضيتْ ... غيرَ الأمينِ لها زوجاً وإن عجبوا

وما الأمين سوى راعي تجارتها ... وكلُّهم أغنياءٌ سادةٌ نُجُبُ

لكنَّ أخلاقَه فاقتْ شمائِلَهم ... وطيِّبُ النفسِ للأخلاقِ يَصطحبُ

وينظرُ الصادق الأحجارَ آلهةً ... والقومُ في مركب الخسرانِ قد ركبوا

فينثني عن ضلالِ الشرك يدفعُهُ ... رأيٌ سديدٌ[3] وعقل زانه الأدب

أيصنعُ المرءُ أصناماً ويعبُدُها ... هذا هو الزور والبهتانُ والكَذِبُ

لا بدَّ من منشىءٍ للكونِ أبدعه ... خَلقاً وما دونه شكٌ ولا ريبُ[4]

وقامَ في الغارِ حتى جاءه مَلَك ... وهزَّهُ ثَمَّ حتى نالَه التَّعب[5]

ونوديَ اقرأ تعالى اللهُ قائِلُها[6] ... قدْ أشرقَ الهدي فانجابتْ به السحب

وقام يدعو إلى الرحمن أفئدةً ... لم يرضَها قطُّ للأوثانِ مُنقلَبُ

وما استجابَ له منهم سوى نفرٍ ... في اللهِ ما عُذِّبوا في اللهِ ما ضُربوا!!!

باتوا وباتَ الردى منهم بمقْرَبةٍ ... ومن كؤوسِ العذابِ المرِّكم شربوا؟!

ذاقَ الهوانَ على الرمضاءِ منبطِحٌ ... وهامَ ليلاً إلى الأقطارِ مغترب[7]

---

(١) في إحدى النسخ (في الغي والبغي لا لوم ولا عتب).

(٢) اشارة إلى حياة الرسول ﷺ قبل البعثة وتجنبه اللهو وكل مفسد.

(٣) (رشيد) في نسخة «المختارات».

(٤) كل هذه الأبيات تشير إلى حياة رسول الله ﷺ قبل البعثة وتجنبه عبادة الأصنام وعمله بالتجارة، وزواجه من خديجة، وتفكره في أمر الكون.

(٥) يشير إلى تعبده في غار حراء وإلى نزول الوحي عليه.

(٦) هذا الشطر من نهج البردة للشاعر أحمد شوقي.

(٧) يشير إلى تعذيب قريش للمسلمين كياسر وبلال في الرمضاء، وهجرة بعضهم إلى الحبشة.

أوذوا فما فُتِنوا والصبرُ رائدُهم ... والمجدُ للدِّينِ بالأرواحِ قد كتبوا[1]

جادوا بأموالهم طُراً وما بَخِلوا ... ومن نفيسِ الدماء الطُّهرِ كم وهبوا

وهل أتاكَ حديثُ القومِ إذ وقفوا ... بالبابِ حتى إذا لاحَ الهدى وثَبوا

فأوحي اخرجْ لئن كادوا مَكيدتهم ... فالله يعظمهم كيداً، لهُ الغلبُ[2]

وراحَ للغارِ والصدِّيقُ يَصحبُهُ ... وفتيةُ القوم أغشتْ عينهم حُجب[3]

وأقبلَ الصُّبحُ في طيَّاتِهِ نبأٌ ... هزَّ الجيمعَ فعمَّ السُّخطُ والغضب

لقد نجا أحمدٌ يا للشقاءِ!! فَمَنْ ... يأتي بهِ فلهُ الأموالُ والذَّهَبُ[4]

فجدَّ في إثرِهِ الفتيانُ طامعةً ... في المالِ حتى دنَوا للغار واقتربوا

فأيقنَ الطاهرُ الصدِّيقُ تهلكة ... وما رأى القومَ حتى راح يَنتَحِبُ

وقال للمُصطفى ماذا سنصنَعُهُ ... والقومُ بالبابِ والأسيافُ والعطب

فصاحَ طهَ ونورُ الحقِّ يكلؤهُ: ... فيم النحيبُ؟ وفيمَ الخوف والرهبُ؟

«لا تحزننَّ فإنَّ الله ثالثُنا»[1] ... وليسَ من يرعَهُ الرحمنُ يكتَئب

واستقبلتْ يثربُ الهادي وصاحبُه ... بالبشر من بعد ما أضناهما السَّغبُ[5]

آخى الرسولُ هناكَ القومَ قاطبةً ... فالدِّينُ بين الجميع الودُّ والنَّسَبُ

وشيَّدَ المسجدَ الأعلى بساحتها ... تُتلى به الآيُ والأحكامُ والخُطُبُ

وراحَ يغزو قريشاً والذينَ رضوا ... بالشركِ مُعتنقاً، يا بئس ما ارتكبوا

حتى أتى النصرُ خفاقاً برايتِهِ ... كما أشارتْ إليه الآيُ والكتُبُ

ونالَ طه الذي يبغيه من وطرٍ ... طُراً وما فاته قصدٌ ولا أرَبُ

* . * . * . * . *

---

(١) كناية عن تضحيتهم بالأرواح في سبيل الله، وثباتهم على هذا الدِّين ولو كلفهم ذلك حياتهم، كياسر وسمية رضوان الله عليهم.

(٢) خروجه ﷺ مهاجراً والقوم نائمون وبصحبته أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) وضع جائزة لمن يأتي بمحمد حياً أو ميتاً.

(٤) هذا الشطر لأحمد شوقي.

(٥) السغب : الجوع.

يـا ربِّ أرسلتَهَ للعـالمين هُـدى فالطفْ لقد عَصفتْ من حولنا النُّوب
هذا الفسادُ الذي أبدى نـواجِذهُ نار لها اليـومَ من إيماننـا حَطَبُ
فاعطف على أمةِ الإسلامِ قد رضيت بالذلِّ عيشاً وماتَ الجدُّ والدأب
واغفرْ لأجل إمـام المرسلين لنـا في يومِ لا تنفعُ الأموالُ والنشب [1]

* . * . * . * . *

(١) النشب : المال والعقار.